



جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
الدراسات العليا – مرحلة الماجستير

العنوان

المحاضرة: الأوضاع العامة في العراق في العهد الإيلخاني

اعداد

الأستاذ المساعد الدكتور احمد عماش عبدالله الحياتي

2026-2025

الأوضاع العامة في العراق في العهد الإيلخاني

مقدمة

شكل الغزو المغولي للعراق سنة ١٢٥٨م نقطة تحول خطيرة في تاريخ العراق السياسي والحضاري، إذ أدى إلى سقوط الخلافة العباسية وقيام الحكم الإيلخاني الذي استمر أكثر من سبعة عقود. وقد انعكست نتائج الاحتلال المغولي على مختلف جوانب الحياة العراقية، فأثرت في الإدارة والاقتصاد والمجتمع والثقافة والعمران. وعلى الرغم من محاولات بعض الحكام الإيلخانيين إجراء إصلاحات محدودة، إلا أن العراق ظل يعاني من آثار الدمار والاضطراب الذي خلفه الغزو. وتأتي أهمية دراسة الأوضاع العامة في العراق خلال العهد الإيلخاني لكونها تمثل مرحلة انتقالية مهمة أسهمت في تشكيل الكثير من التطورات اللاحقة في تاريخ العراق.

أولاً: الأوضاع السياسية والإدارية

اعتمد الإيلخانيون على نظام إداري يضمن إحكام السيطرة على العراق، وكان منصب الشحنة من أهم المناصب السياسية والعسكرية في البلاد. فقد مثل الشحنة السلطة العليا التي تشرف على الأمن ومراقبة الموظفين وضمان ولائهم للحكم الإيلخاني. كما كان حلقة الوصل بين المدن العراقية والحكومة المركزية، وتمتع شحنة بغداد بمكانة خاصة بسبب الأهمية السياسية والإدارية للعاصمة.

وإلى جانب الشحنة برزت مناصب أخرى مثل نائب الشرطة الذي كان مسؤولاً عن الأمن الداخلي، إلا أن تدخل الشحنة كان ضرورياً عند حدوث الأخطار الكبرى أو الانتفاضات التي تهدد السيطرة المغولية. وقد أدى هذا التنظيم إلى تركيز السلطة بيد العسكريين المغول، الأمر الذي جعل الإدارة بعيدة عن مصالح السكان المحليين.

كما شهدت الدولة الإيلخانية صراعات مستمرة على السلطة بين الأمراء وأبناء البيت الحاكم، وكانت هذه الصراعات تنعكس بصورة مباشرة على العراق، إذ كانت بغداد غالباً مسرحاً للمنافسات السياسية والعسكرية بين المتنازعين على العرش، مما زاد من حالة عدم الاستقرار السياسي.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

تعرض الاقتصاد العراقي إلى تدهور شديد بعد الاحتلال المغولي. فقد اعتمد العراق منذ القدم على الزراعة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشبكات الري والأنهار والقنوات. إلا أن الحكام الإيلخانيين لم يولوا اهتماماً كافياً لصيانة هذه المنشآت، مما أدى إلى تدهور الإنتاج الزراعي واتساع رقعة الأراضي المتروكة.

وأدى إهمال مشاريع الري إلى حدوث فيضانات متكررة ألحقت أضراراً كبيرة بالمدن والأراضي الزراعية، كما ساهمت موجات الجراد والبرد الشديد في تقليل المحاصيل الزراعية وإضعاف قدرة السكان على مواجهة الأزمات الاقتصادية.

أما التجارة فقد فقدت كثيراً من مكانتها نتيجة عدم الاستقرار الأمني وكثرة الضرائب والرسوم المفروضة على الأسواق والعقارات والتجارة. كما تعرضت الأسواق إلى الحرائق والتخريب، مما أدى إلى انخفاض النشاط التجاري الذي كان يشكل أحد أهم عناصر القوة الاقتصادية للعراق.

ومن أبرز مظاهر الأزمة الاقتصادية ارتفاع الضرائب وتعدد أنواعها، إذ فرضت السلطات الإيلخانية ضرائب الخراج والجزية والتمغات وضرائب المراعي والأسواق وغيرها. ولم تقتصر المشكلة على كثرة الضرائب فحسب، بل شملت أيضاً أساليب جبايتها التعسفية التي أثقلت كاهل السكان وأدت إلى هجرة بعض المناطق الزراعية وانكماش النشاط الاقتصادي.

وعلى الرغم من ذلك، شهد عهد السلطان غازان بعض الإصلاحات الاقتصادية المهمة، مثل توحيد المكايل والموازين، وإلغاء بعض أساليب جباية الضرائب غير

العادلة، والعمل على تطوير بعض مشاريع الري. إلا أن هذه الإصلاحات لم تكن كافية لمعالجة المشكلات الاقتصادية المتراكمة.

ثالثاً: النظام النقدي والإصلاحات المالية

اهتمت الدولة الإيلخانية بإصدار النقود وتنظيم التداول النقدي في العراق. وقد ضربت الدينار الذهبية والدرهم الفضية والفلوس النحاسية في عدد من المدن العراقية مثل بغداد والموصل وأربيل والبصرة.

وشهدت هذه المرحلة تطورات مهمة في السياسة النقدية، إذ ظهرت نقود تحمل كتابات عربية وأخرى باللغة الأويغورية. كما حاول بعض الحكام إصلاح النظام النقدي من خلال مكافحة الغش في العملات وتوحيد الأوزان النقدية.

ومن أبرز التجارب النقدية إصدار العملة الورقية المعروفة باسم "الجاو" في عهد كيخاتو سنة ١٢٩٤م، وهي تجربة تعد من أوائل المحاولات في العالم الإسلامي لاستخدام النقود الورقية. إلا أن هذه التجربة لم تحقق نجاحاً كبيراً بسبب عدم تقبل السكان لها وضعف الثقة بها.

ومع ذلك، فإن ضعف الرقابة الحكومية وانتشار تزوير العملات أثرا سلباً على الاستقرار المالي وأسهما في زيادة المشكلات الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد.

رابعاً: الأوضاع الاجتماعية

عانى المجتمع العراقي خلال العهد الإيلخاني من ظروف معيشية صعبة نتيجة الحروب والضرائب والأزمات الاقتصادية. فقد انتشرت حالات الفقر والجوع بين فئات واسعة من السكان، كما تراجعت مستويات المعيشة بصورة ملحوظة.

وأدى ضعف السلطة أحياناً إلى انتشار أعمال السلب والنهب وظهور العصابات، فضلاً عن عجز بعض الحكام المحليين عن حماية المدن والطرق التجارية. كما تعرض العراق لغارات خارجية وهجمات متكررة زادت من معاناة السكان.

ومن المشكلات الاجتماعية الخطيرة انتشار الأوبئة والمجاعات نتيجة ضعف الخدمات الصحية وقلة المستشفيات وتراجع مستوى الرعاية العامة. وقد تكررت موجات الأمراض التي أودت بحياة أعداد كبيرة من السكان وأثرت في النمو السكاني والنشاط الاقتصادي.

كما ساهمت الأزمات الاقتصادية في اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية، حيث استفاد بعض كبار المسؤولين من مناصبهم في جمع الثروات، بينما ازدادت معاناة عامة الناس.

خامساً: الأوضاع الثقافية والعلمية

كانت بغداد قبل الغزو المغولي مركزاً عالمياً للعلم والثقافة، إلا أن الاحتلال أدى إلى تدمير عدد كبير من المدارس والمكتبات ودور العلم، فضلاً عن مقتل وتشريد الكثير من العلماء.

ومع ذلك لم تتوقف الحركة العلمية بصورة كاملة، إذ برز عدد من الشخصيات التي أسهمت في الحفاظ على التراث العلمي والثقافي، ومن أبرزهم نصير الدين الطوسي الذي اهتم بجمع الكتب ورعاية العلماء.

كما شهد العصر الإيلخاني تأسيس بعض المدارس الجديدة مثل المدرسة العصمتية والمدرسة العلانية والمدرسة الغازانية، فضلاً عن الاهتمام بإحياء بعض المؤسسات التعليمية القديمة مثل المدرسة المستنصرية والنظامية.

وظهر خلال هذه المرحلة عدد من العلماء في مجالات الفلك والرياضيات والفقه والطب، مما يدل على استمرار النشاط العلمي رغم الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها البلاد.

سادساً: العمران والعمارة

لم يترك الإيلخانيون أثراً عمرانية كبيرة مقارنة بالحضارات السابقة، إلا أن بعض المشاريع العمرانية شهدت نشاطاً ملحوظاً، خاصة في مجال بناء المدارس والمساجد والأضرحة.

ومن أبرز المعالم التي تعود إلى هذه الفترة إعادة بناء منارة جامع الخلفاء، وإنشاء مجمع ذي الكفل، إضافة إلى عدد من المدارس والربط الصوفية والمشاهد الدينية.

كما ساهم بعض الأثرياء والولاة المحليين في تمويل مشاريع عمرانية مختلفة، الأمر الذي ساعد على استمرار حركة البناء رغم التراجع الاقتصادي العام.

خاتمة

يمثل العهد الإيلخاني مرحلة مهمة من تاريخ العراق اتسمت بالتناقض بين آثار الدمار الذي خلفه الغزو المغولي ومحاولات الإصلاح المحدودة التي قام بها بعض الحكام. فقد شهد العراق تراجعاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً واسعاً، إلا أن المجتمع العراقي استطاع المحافظة على جزء من إرثه الحضاري والثقافي، كما استمرت بعض مظاهر النشاط العلمي والعمراني رغم الظروف القاسية التي مرت بها البلاد.

لاستنتاجات

١. أدى الغزو المغولي إلى انهيار البنية السياسية التي كانت قائمة في العراق بعد سقوط الخلافة العباسية.

٢. أصبح منصب الشحنة الأداة الرئيسية للسيطرة الإيلخانية على العراق.

٣. تدهورت الزراعة بسبب إهمال شبكات الري والقنوات المائية.

٤. أسهمت الفيضانات والجراد والكوارث الطبيعية في زيادة الأزمة الاقتصادية .
٥. شكلت الضرائب الباهظة أحد أهم أسباب تدهور الأوضاع المعيشية للسكان .
٦. شهد العراق تراجعاً ملحوظاً في النشاط التجاري نتيجة عدم الاستقرار الأمني .
٧. حاول بعض الحكام الإيلخانيين، وخاصة السلطان غازان، تنفيذ إصلاحات اقتصادية وإدارية محدودة .
٨. عانى المجتمع العراقي من الفقر والمجاعات وانتشار الأوبئة خلال هذه المرحلة .
٩. تعرضت الحركة الثقافية لخسائر كبيرة بسبب تدمير المدارس والمكتبات، لكنها لم تتوقف بصورة كاملة .
١٠. حافظ العلماء العراقيون وبعض الشخصيات العلمية على جانب مهم من التراث العلمي الإسلامي رغم الظروف الصعبة .